من قصص:

زوجات الصالحين

محمد عبده

21
م ق

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان - المنصورة
☎ ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ولا تعد ، هو الإله الخالق ، وهو البر الرحيم .

أسىء فيجزى بالإساءة إفضالا ... وأعصى فيولينى براً وإمهالاً
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى ... وأبعد عنه وهو يبدل إيصالاً
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة ... ولا حال عن ستر القبيح ولا زالا
فارحم ياإلهى مذنباً عاصيا ... قد وقف سائلا فضلا وإنعاماً
وامنن بالغفران بعد الستر ... فضلاً منك ياإلهى وإحساناً

والصلاة والسلام على النبى الرحيم ، سيد الخلق ورسول العالمين محمد بن عبد الله القرشى الأمين ، مبلغ الرسالة وناصح الأمة ، فصلاة ربى وسلامه عليه إلى يوم الدين .

أما بعد :-

فهذا الكتاب الذى بين أيديكم له منزلة خاصة عندى ، لأنى عندما أعددت له كنت أقرأ كل قصة ، وأنظر إلى حال الأمة ، هل لا زال فيها إمرأة كتلك ؟!

وبالطبع سأترك الإجابة لكم ، ولكن هناك سؤال آخر ، هل يوجد رجال كهؤلاء ؟!

وبالطبع الإجابة لكم على هذا السؤال أيضا بعد قراءة هذا

الكتاب الذى جمع من القصص ما يجعلنا ننظر إلى أنفسنا ألف مرة قبل أن نتحدث عن كوننا مسلمين .

ولعل السبب الذى جعل هؤلاء يصلون إلى هذه الدرجة أنهم أدركوا الحقيقة وعلموا أن الموت هو الشىء الوحيد الذى يستحق الإهتمام ثم رأوا القيامة فعلت هممهم ،ثم تذكروا العرض على الواحد الديان فقضوا عمرهم للإستعداد لهذا اليوم ، فمن منا وصل إليهم وعلت همته ، وازداد تقربا من الله فى كل عمل يعمله ؟

وحتى لا نفسر هذا الكلام تفسيراً خاطئاً فالعمل عبادة ، والإجتهاد فى العلم إن كان لله وفى الله وبالله فهو عبادة ،وقيام كل مسؤول بواجبه نحو الرعية لله عبادة ، وهذا ماسنراه فى كتابنا ، فالمهم النية والصدق والمسارعة إلى رضا المولى عز وجل بكل عمل يعلى راية الإسلام وينشر الدين ، ويحقق كل جميل فى حياتنا التى تعفنت بالإنعزال والأنانية وحب الذات والسعى من أجل المصالح الدنيوية وترك السؤال عن الآخرين وكأننا نحيا فى غابة يأكل فيها القوى الضعيف .

والإسلام لا يطلب منا هذا أبداً ، ولكن يطلب حياة جميلة تعمر بنور الطاعة والتآلف والحب ، وينشر العدل وآد .... ثم آه

... من مسلم تجرد من حقيقة الإسلام وساغه لرغبته وجمع أحكاماً لغايته ، وآه ... ثم آه ... لمسلم لم يتذكر ما كان عليه حال السابقين فضاع فى هذه الدنيا التى نتصارع فيها حتى تكون النهاية الأليمة ، النهاية التى لابد من تحققها لكل فرد . فالموت نهاية لايشعر بألمها إلا من إنزلق فيها ، ويتمنى لو عاد ليصحح حياته ويعمل بسيرة من كان قبله من الصالحين . ولكن لا ينفع البكاء ساعة الإمتحان والنتيجه .

لذا يا أحباب أرجو من الله أن نقرأ هذه القصص ، ونعمل بما نستطيع منها عسى الله أن يرحمنا .

اعلموا أننى قد تعمدت أيضا ايراد بعض الزوجات العاصيات اللاتى حظين برجال صالحين ، حتى نرى كيف يتصرف الزوج فى هذه الحالة ، ونرى أيضاً نهاية من اصرت على ظلمها ، وأرجو من الله أن يكون بذلك تمام الموعظة ، فالدين ترغيب وترهيب ، ومخطأ من يفصلهما .

واسأل الله لى ولكم الإنتفاع بهذا الكتاب ، والعمل بكل صالح جاء فيه ، واللحاق بالصالحين ، لأن هذا هو الفوز العظيم . واسأل الله النجاه لى ولكم من عذاب القبر والخزى وعذاب جهنم كما اسأله الفوز برضاه ، اللهم آمين آمين آمين .

محمد عبده مغاورى

صلة ومعاذة

صلة بن أشيم رجل صالح ولا نزكى أحد على الله ، وعندما اختار الزوجة اختارها بمقياس خاص ، فرغب فى ذات الدين ، وتزوج من معاذة بنت عبد الله وكانت امرأة صالحة ، وفى ليلة الزفاف المباركة ذهب صلة مع ابن أخيه إلى الحمام ، ثم دخل بيته على معاذة مطيبا جميل الهيئة ، فصلى وقام الليل كله ، فسارعت هذه الزوجة الصالحة وقامت تصلى مع زوجها ليعلنا أنها نعم الليلة المباركة التى كانت لله وفى الله وبالله ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه كيف يقوم الليل كله ولا يقرب زوجته فى أول ليلة ؟!

فقال صلة : ـ إنك أدخلتنى بيتا أذكرتنى به النار « يقصد الحمام » ، ثم أدختلنى بيتا أذكرتنى به الجنة ، فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت

هكذا تأسس بيت صلة وزوجته الصالحة معاذة فكان خير بيت وكانت السيدة معاذة رحمها الله تحى الليل وتصلى ، فإذا غلبها النوم تجول فى المنزل قائلة : ـ « يا نفس ، النوم أمامك ، لو قدمت لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور » .

وكان لها ابنة من الرضاعة ، فكانت تعظها دائما وتقول لها :
ـ « يا بنية كوني من لقاء الله على حذر ورجاء ، وإني رأيت الراجي له محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ورأيت الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين » ثم تنهمر في البكاء حتى لا تملك نفسها وتخر من تذكر الموقف وهو العرض .

وكانت النهاية لهذا البيت الذى أسس على تقوى وإيمان نهاية سعيدة تبشر بحسن الخاتمة والفوز في الدارين .

نعم فلقد مات صلة وابنه في ساحة القتال شهيدين منعمين بهذا الفوز العظيم ، وعندما اجتمع النساء لمواساتها على موت زوجها وابنها شهيدين ، قامت هذه المرأة الصالحة زوجة الرجل الصالح تقول في كل ثبات وإيمان :ـ

« مرحباً ، إن كنت جئتن لتهنئنن فمرحبا بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن »

هذا هو الثبات ، وتلك هي الصالحة التي تعمر بها الدنيا إن سادت ، واقرأوا معى بتدبر شديد ما قالته لابنتها في الرضاعة عندما مات زوجها وابنها في ساحة القتال ، وتعلموا من هذه المرأة التي نادراً ما تعمر الأرض بمثلها ، كانت تقول :ـ

« والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ، ولا

لروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء (زوجها صلة) وولده فى الجنة » .

وكانت نهاية هذه العابدة نهاية تبشر بحسن الخاتمة فتقول عفيرة رحمها الله :-

لما احتضرها الموت « السيدة معاذة » بكت ثم ضحكت ، فقيل لها : مم بكيت ثم ضحكت ؟! فمم البكاء ، ومما الضحك ؟!

قالت : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها ، فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا .

وبالفعل ماتت هذه الصالحة عليها رحمة الله قبل أن يدخل وقت الصلاة ، فرحمة الله عليها ونسأل الله أن يرزقنا إمرأة كمعاذة رحمها الله .

هيا نربح بعض الحسنات

كما قلنا المرأة الصالحة يشتد صلاحها بزوجها ، ولتقويم المرأة سياسة خاصة ، والرجل الصالح من يحبب زوجته فى الصلاح ولايرغمها على ذلك ، وحتى نرى هذه السياسة تعالوا بنا لنقرأ هذه القصة العطرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ونرى كيف دخل على زوجته وعرض عليها العمل الصالح فى سهولة ويسر ، ولكن بحنكة وذكاء .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :-

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطب رضى الله تعالى عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين ، فرأى بيتاً من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالأمس ، فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً فدنا منه وقال له :- من الرجل ؟

فقال له : رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله .

قال : فما هذا الأنين ؟

قال : امرأة تتمخض قد أخذها الطلق .

قال : فهل عندها أحد ؟

قال : لا .

فانطلق عمر رضى الله عنه لرجل لا يعرفه فجاء إلى منزله فقال لإمرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما وقال لها : هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك ؟

قالت : وما هو ؟

قال : امرأة تتمخض ليس عندها أحد .

قالت : إن شئت

قال : فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن ، وائتنى بقدر وشحم وحبوب ، فجاءت به ، فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت .

فقال: أدخلى للمرأة ، ثم قال للرجل أوقد لى ناراً .

ففعل ، فجعل عمر ينفخ فى النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة .

فقالت أم كلثوم رضى الله عنها : بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام

فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين إرتاع وخجل .

وقال: واخجلتنا منك يا أمير المؤمنين .. أهكذا تفعل بنفسك ؟

قال: يا أخا العرب ، من ولى شيئاً من أمور المسلمين ينبغى

له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره ، فإنه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة.

ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من فوق النار وحملها إلى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم.

فقال عمر رضي الله عنه للرجل: قم إلى بيتك ، وكل ما بقى فى البرمة وفى غد ائت إلينا .

فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به وانصرف .

إنى أخطبك إلى نفسك فى الآخرة

السيدة أم الدرداء « الصغري » رحمها الله امرأة يشهد لها بالصلاح ، والكل يعرف قدرها ومنزلتها ، وكانت على علاقة خاصة جداً بزوجها أبى الدرداء الرجل الصالح ،لذلك كانت تقول عندما تحدث عنه : حدثنى سيدى ـ تعنى أبا الدرداء ـ ويقال أنها قالت له فى كل حب وإخلاص :

إنك خطبتنى إلى أبوى فى الدنيا فأنكحونى ، وإنى أخطبك إلى نفسك فى الآخرة .

فقال لها : فلا تنكحى بعدى « أى لا تتزوجى من أى رجل بعد وفاتى » .

فارسل إليها سيدنا معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه « أمير المؤمنين » طالبا منها الزواج ، فقصت عليه ما قد كان بينها وبين زوجها ، ثم قالت « ولست أريد بأبى الدرداء بدلا » .

فقال معاوية رضى الله عنه : عليك بالصيام .

فيالله . . . ياالله . . . على هذا الإخلاص وتلك المرأة العظيمة التى نادراً ما نجد مثلها .

هكذا يطيب الشراب

حكى أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وإناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحج فداخل الشوق قلبه ، ثم دخل على أولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم : لو أذنتم لأبيكم أن يذهب إلى بيت ربه فى هذا العام حاجاً ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم ؟

فقالت زوجته وأولاده : أنت على هذه الحالة لا تملك شيئاً ونحن على ماترى من الفاقة « الفقر والإحتياج » فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة ؟

وكان له ابنة صغيرة فقالت :ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يهمكم ذلك ، دعوه يذهب حيث شاء فإنه مناول الرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك .

فقالوا : صدقت والله هذه الصغيرة يا أبانا ، انطلق حيث أحببت .

فقام من وقته وساعته وأحرم بالحج وخرج مسافراً وأصبح أهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخونهم كيف أذنوا له بالحج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه فجعل أولاده يلومون تلك

الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصغيرة طرفها إلى السماء **وقالت** : إلهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وأنك لا تضيعهم فلا تخيبهم ولا تخجلنى معهم .

فبينما هم على هذه الحالة إذ خرج أمير البلدة متصيداً فانقطع عن عسكره وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء وقرع الباب

فقالوا :ـ

من أنت ؟!

قال : الأمير ببابكم يستسقيكم

فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى السماء **وقالت** :ـ

إلهى وسيدى سبحانك البارحة بتنا جياعاً واليوم يقف الأمير على بابنا يستسقينا .

ثم أخذت كوزاً جديداً وملأته ماء وقالت للمنال منها : اعذرونا .

فأخذ الأمير الكوز وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء .

فقال : هذه الدار لأمير .

فقالوا : لا والله بل لعبد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم .

فقال الأمير : لقد سمعت به .

فقال الوزير : يا سيدى لقد سمعت أنه البارحة أحرم بالحج

وسافر ولم يخلف لعياله شيئاً وأخبرت أنهم البارحة باتوا جياعاً .

فقال الأمير : ونحن أيضاً قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على مثلهم .

ثم حل الأمير منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ، ثم قال لأصحابه : من أحبنى فليلق منطقته ، فحل جميع أصحابه مناطقهم ورموا بها إليهم ثم انصرفوا .

فقال الوزير : السلام عليكم أهل البيت لآتينكم بثمن هذه المناطق مالاً جزيلاً واستردها منهم ، فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكت بكاء شديداً ، فقالوا لها : ما هذا البكاء إنما يجب أن تفرحى فإن الله قد وسع علينا .

فقالت : يا أم والله إنما بكائى كيف بتنا البارحة جياعاً فنظر إلينا مخلوق نظرة واحدة فأغنانا بعد فقرنا ، فالكريم الخالق إذا نظر إلينا لا يكلنا إلى أحد طرفه عين ، اللهم انظر إلى أبينا ودبره بأحسن التدبير .

وأما حاتم أبيهم فإنه لما خرج محرماً ولحق بالقوم توجع أمير الركب فطلبوا له طبيباً فلم يجد فقال : هل من عبد صالح ، فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفى الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب ، فنام تلك الليلة مفكراً فى

أمر عياله ، فقيل له فى منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصلحنا معاملتنا معه ثم أخبر بما كان من أمر عياله ، فأكثر الثناء على الله تعالى .

فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده فعانق الصبية الصغيرة وبكى ثم قال : صغار قوم كبار آخرين إن الله لا ينظر إلى أكبركم ولكن ينظر إلى أعرفكم به فعليكم بمعرفته فإنه من توكل على الله فهو حسبه .

قــم يارجــل

السيدة عمرة رحمها الله من الصالحات ، التى شهد لها الكثير بالصلاح والتقوى تزوجت بالرجل الصالح حبيب العجمى فكانت نعم الزوجة المعينة على طاعة المولى عز وجل ، ومن قصصها الشهيرة أنها إنتبهت ليله وهو نائم فانبهته فى السحر وقالت له :ـ

قم يارجل فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا .

دون هذا يا هذه !

تزوج أبو عمران الجونى من امرأة اشتهرت بالصلاح والعبادة ، فعاش فى نعيم وهناء ، وأنعم الله عليهما بابن اسمه عويد ، وكان عويد يراقب حال أمه وينظر إلى صلاحها ويتعلم منها ما يساعده على التقرب من المولى عز وجل .

ويقول عويد : كانت أمى تقوم من الليل تصلى حتى تعصب ساقيها بالخرق .

فيقول لها أبو عمران : دون هذا يا هذه !

فتقول : هذا عند طويل القيام فى الموقف قليل .

تزوجت رياحاً

رياح القيسى رجل صالح أخذ يبحث بكل جد وجهد عن امرأة تعينه على التقرب من المولى عز وجل ، فأنعم عليه الرحمن بامرأة ذات نفس طيبة ، وعين دامعة ، وقلب عامر بذكر الواحد الديان، وعندما تزوجها لاحظ منها ماهو أعظم من ذلك ولم يجد لها شكراً على صنيعها إلا أن يحدث الناس عنها ، فهى نعم المرأة ونعم الزوجة ونعم العابدة وتعالوا بنا لنقرأ ما قاله رياح القيسى عن زوجته التى نادراً ما نراها فى تاريخ النساء ومحافل الأغنياء .

قال أبو يوسف البزار : تزوج رياح القيسى امرأة فبنى بها ، فلما أصبح قامت إلى عجينها .

فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا « أى نرى خادمة تقوم بهذه الأعمال » .

فقالت : إنما تزوجت رياحاً القيسى ، ولم أرنى تزوجت جباراً عنيداً .

فلما كان الليل نام ليختبرها . فقامت ربع الليل الأول ثم نادته : ـ

قم يا رياح .

فقال : أقوْم .

فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يا رياح .

فقال : أقوم .

فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ، ليت شعرى من غرنى بك يا رياح .

وقامت الربع الباقى .

نعم المرأة الصالحة التى تعين زوجها على الطاعة وتكثر من تذكيرها له بالمسارعة والإحسان والقيام ، وتعالوا بنا لنقرأ لها قصة أجمل وأعظم .

قال رياح القيسى :

اغتممت مرة فى شىء من أمر الدنيا .

فقالت : أراك تغتم لأمر الدنيا غرّنى منكم شُميط .

ثم أخذت هُدبةً من مقنعتها فقالت : الدنيا أهون على الله من هذه .

أرأيتم كيف أرشدت زوجها إلى حقيقة عميت عليه ووضعته فى ضيق وكرب ، هذه الحقيقة أن الدنيا هينة أحمق من نظر إليها وأغتم لأمر من أمورها فهى لا محالة زائلة ، متقلبة لا تنبرم لحال وصفوها فى صفو قلوبنا وعمارتها بالتقرب إلى ربنا .

وأختم الحديث عن امرأة رياح بفعل جميل جليل يا حبذا لوقامت به كل النساء .

عن سيار قال : حدثني رياح **قال** : ذكرت لى امرأة فتزوجتها ، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت « أى اطلقت البخور ذو الرائحة الجميلة » ولبست ثيابها ثم تأتينى

فتقول : ألك حاجة ؟

فإن قلت : نعم ، كانت معى

وإن **قلت** : لا ، قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح .

قال رياح : ففحتنى والله .

لا تفسدوا حياتنا

تعالوا بنا لنقرأ هذه القصة الجميلة ، التى نرى من خلالها كيف تفسد بعض النساء ؟! وتنخر فى منازل الصالحين وتحاول أن تنشر فيه الدنيا وعفانتها .

عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه **قال** :

كان أبو مسلم الخولانى إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته ، فإذا كان فى صحن داره كبّر فتجيبه امرأته ، فإذا بلغ إلى باب بيته كبّر فتجيبه امرأته .

فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد ، فلما كان فى الصحن كبر فلم يجبه أحد ، فلما كان فى باب بيته كبّر فلم يجبه أحد ، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه .

قال : فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة تنكت بعود معها .

فقال لها : مالك ؟!

فقالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك .

فقال : اللهم من أفسد على امرأتى فأعم بصره .

قـال : وقد جاءتها امرأة قبل ذلك ، فقالت : زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشم ،

قال : فبينما تلك المرأة جالسة فى بيتها إذ أنكرت بصرها ،

فقالت : مالسراجكم طفىء ؟!

قالوا : لا ، فعرفت ذنبها ، فأقبلت إلى أبى مسلم تبكى وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها .

قال : فرحمها أبو مسلم فدعا الله عز وجل لها فرد عليها بصرها .

باعوا الدنيا ليشتروا الآخرة

يوسف بن أسباط هو أحد الرجال القلائل الذين استعدوا وأكثروا من الزاد للرحيل ، وأعانه على ذلك صلاح زوجته ، ولنقرأ هذه القصة على لسان زوجته .

قالت الصالحة زوجة يوسف بن أسباط :

كان يوسف يقول : أشتهى من ربى ثلاث خصال .

قلت : وما هن ؟!

قال : أشتهى أن أموت حين أموت وليس فى ملكى درهم ، ولا يكون على دين ، ولا على عظمى لحم .

قالت : فأعطى ذلك كله .

ولقد **قال** لى فى مرضه : أبقى عندك نفقة ؟

فقلت : لا .

قال : فماذا تريدين ؟

قلت : أخرج هذه الخابية للبيع .

فقال يعلم الناس بحالنا ، **ويقولون** : ما باعوها إلا وثمّ حاجة شديدة .

فأخرج إلىّ شيئاً كان قد أهداه إليه بعض إخوانه فباعه بعشرة دراهم ، **وقال** : إعزلى منها درهماً لحنوطى وأنفقى ما فيها .

فمات وما بقى غير الدرهم .

علمتني رابعة

رابعة بنت اسماعيل الشامية ، امرأة من الشام تشابه اسمها مع السيدة رابعة ، وكان من العجيب أن يكتب له فى كتب السابقين كما كتب عن رابعة العدوية، غير أننا هنا سننظر إلى امرأة تعلم منها زوجها وكان شديد التعلق بعلمها حتى جعلها فى مرتبة الأساتذة وهو فى مرتبة التلميذ ، ناشداً بذلك الصلاح وعلو الهمة والفوز فى الدارين ، وكان من العجيب أيضاً أنه يجلس للحديث فيحدث عنها وعن أخبارها وصلاحها وفى ذلك ما سنقرأه سوياً .

عن أحمد بن أبى الحوارى « زوج رابعة » **قال** : كانت لرابعة أحوال شتى فمرة يغلب علها الأنس ، ومرة يغلب عليها الخوف فسمعتها تقول فى حال الحب

حَبيبٌ ليس يعدله حَبيبُ ولا لِسواهُ فى قلبى نَصيبُ
حَبيبُ غاب عن بصرى وشخصى ولكن عن فؤادى ما يغيب

وسمعتها فى حال الأنس **تقول** :

ولقد جعلتُك فى الفؤاد محدثى وأبحتُ جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانِسٌ وحبتُ قلبى فى الفؤاد أنيسى

وسمعتها فى حال الخوف **تقول** :

وزادى قليل ما أراه مُبَلِّغى ... أَلِلزاد أبكى أم لطــول مسافتى ؟!

أتحرقنى بالنار يا غاية المُنى ... فأين رجائى فيك ؟! أين محبتى ؟!

قال أحمد :

وربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذكرات أصحابنا من أثر العبادة .

وقـالت لى : لست أحبك حب الأزواج إنما أحبك حبّ الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مَلْكى ومالى مِثْلُك ومثل إخوانك ، وكان لها سبعة آلاف درهم أنفقتها على زوجها فى طاعة الله فرحم الله امرأة ما نسيت حق الله وما نسيت حق زوجها .

السبـــــاق

الصالحون في حلقة للسباق ، هكذا أعدوا أنفسهم ، وتسارعوا على فعل الخير حتى ينعموا في نهاية السباق ، فالمتكاسل والمتخاذل حتماً خاسر ، أما الشديد القوى في الحق المسارع إلى الخير رابح غانم بأمر الحكيم الخبير ، هكذا تعلم أهل الصلاح والتقوى وعلى ذلك كان نهجهم ، فالله ... الله ... لمن أخلص النية وسعى إلى الله وفر إليه وفاز في السباق .

عن عامر بن أسلم ، عن أبيه **قال** :

كانت لنا جارية في الحيّ يقال لها هنية فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أونصفه فتُوقظ ولدها وزوجها وخدمها

فتقول لهم : قوموا فتوضئوا وصلّوا فستغتبطون بكلامي هذا « أي سيحل بكم الفرح والسرور والنعمة إذا سمعتم كلامي » فكان هذا رأيها معهم حتى ماتت .

فرأى زوجها في منامه : إن كنت تحب أن تزوّجها هناك فأخلفها في أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات .

فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له : إ كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما في الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما .

قال : فلم يزل ذلك رأيه حتى مات .

فكانوا يُدعون القوامين .

فـوالله ما صنيعتــه

الإستثمار الرابح هو تربية الولد الصالح ، فهو خير معين على الطاعة ، وهو صاحب الدعاء عند موت الآباء ، لذا تعالوا بنا لنقرأ هذه القصة الجميلة عن الإستثمار الرابح .

يقول أبو فرج : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد عن مشيخة أهل المدينة : أن فروخاً أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج في البعوث إلى خرسان أيام بني أمية غازياً وربيعه حمل في بطن أمه « أى أن زوجته كانت حاملا في ابنه ربيعة » وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار .

فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه ، فخرج ربيعة فقال له : يا عدو الله أتهجم على منزلي ؟

فقال : لا ، وقال فروخ : يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمتي .

فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران فبلغ مالك بن أنس والمشيخة تضم يعينون ربيعة فجعل ربيعة **يقول** : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل الرجل يقول : والله فلا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي .

وكثر الضجيج فلما بصروا بمالك ، سكت الناس كلهم

فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار .

فقال الشيخ : هى دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان .

فسمعت امرأته كلامه فخرجت ، فقالت : هذا زوجى ، وهذا ابنه الذى خلّفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعا وبكيا ، فدخل فروخ المنزل ، فقال هذا ابنى ؟! قالت : نعم

قال : فاخرجى المال الذى عندك وهذه معى أربعة آلاف دينار .

فقالت : المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام

فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس فى حلقته وأتاه مالك بن أنس ، والحسن بن زيد ، وابن أبى على اللهبى ، والمساحقى ، وأشراف المدينة وأحدق الناس به ، فقالت امرأته : اخرج فصلِّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فنظر إلى حلقةٍ وافرة ، فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره

فقال : من هذا الرجل ؟!

فقالوا : هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فقال أبو عبد الرحمن « فروخ » : لقد رفع الله ابنى .

فرجع إلى منزله فقال لوالدته : لقد رأيت ولدك فى حالة ما

رأيت أحداً من أهل الفقه والعلم عليها .

فقالت أمه : فأيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى فيه من الجاه ؟!

قال : لا والله إلا هذا .

قالت : فإنى أنفقت المال كله عليه .

قال : فوالله ما ضيعته .

لا أحرق حشاشتي

دائما ما تبحث المرأة عن الثراء والمال ، فالمال للمرأة مصدر من مصادر سعادتها ، ولكن يجب أن يكون هذا المال من مصدر حلال ، وأي رجل يلتمس طريق الصلاح يتحرى المال الحلال ، ولا يقبل سواه ، وربما مع الفقر والشدة تنهار العزائم ، ولكن أهل الصلاح دائماً أقوى من الفقر والشدة ، ولهم القدرة على الصبر ، وكذلك لهم القدرة على تقويم نسائهم بأمر ربهم ، والآن تعالوا بنا لنقرأ هذه القصة حتى نرى فيها عزيمة الصالح وشدة إيمانه ، وكيف أنه استطاع أن يقوم زوجته .

يقول محمد بن جرير :

كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خُراسانياً ينادى : معاشر الحاج من وجد هميانا « كيس نقود » فيه ألف دينار فرده عليّ أضعف الله له الثواب .

فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد **فقال له :-**

يا خرسانى بلدنا فقيرٌ أهله شديدٌ حالة أيامه معدودة ، ومواسمه منتظرة ، لعله يقع بيد رجل مؤمن ، يرغب فيما تبذله

له حلالا يأخذه ويرده عليك .

قال الخرسانى : فكم يريد ؟!

قال : العشر مائه دينار

قال : لا أفعل ولكنا نُحيله على الله عز وجل .

قال : واقترقا

قال ابن جرير : فوقع لى أن الشيخ صاحب القريحة والواجدُ للهميان . فاتّبعته فكان كما ظننت ، فنزل إلى دار مستقلة خلقه الباب والمدخل ، فسمعته يقول : يالبابة .

قالت له : لبيك أبا غياث .

قال : وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقاً ، فقلت له : قيّده بأن تجعل لواجده شيئاً . فقال : كم ؟ فقلت : عشرة . فقال : لا ولكنا نحيله على الله عز وجل ، فأى شيء نعمل ولا بدّ لى من ردّه ؟

فقالت له : نقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم ، أشبعنا واكسنا ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه .

فقال لها : لست أفعل ولا أحرق حشاشتى بعد ستٍّ وثمانين سنة .

قال ابن جرير : ثم سكت القوم وانصرفت ، فلما إن كان من

الغد على ساعات من النهار سمعت الخرسانى يقول : يا معاشر الحاجّ وفد الله من الحاضر والبادى ، من وجد هميانا ً فيه ألف دينار فردّه أضعف الله له الثواب .

فقام إليه الشيخ فقال : يا خرسانى قد قلت لك بالأمس ونصحتك وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضرع ، وقد قلت لك تدفع إلى واجده مائة دينار فلعله أ ن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعت ، فقل له : عشرة دنانير منها فردّه عليك ويكون له فى العشرة الدنانير ستر وصيانة .

فقال له الخرسانى : لا نفعل ، ولكن نُحيله على الله عز وجل ، ثم افترقنا .

قال ابن جرير : فما اتّبعت الشيخ ولا الخرسانى وجلست أكتب كتاب النسب للزبير بن بكار . فلما كان من الغد سمعت الخرسانى ينادى ذلك النداء بعينيه ، فقام إليه الشيخ فقال له : يا خرسانى قلت لك أول أمس العُشر منه، وقلت لك أمس عُشر العُشر ، اعط دينار عُشرَ عُشْرِالعشرِ يشترى بنصف دينار قريبةً يستقى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة ، وبنصف دينار شاه يحلبها ويجعل ذلك لعياله غذاء .

قال : لا نفعل ، ولكن نحيله على الله عز وجل .

قال ابن جرير : فجذبه الشيخ وقال له : تعال خذ همیانك ودعني أنام الليل ، وأرحنا من محاسبتك .

فقال له : امش بين يدى فمشى الشيخ وتبعه الخرسانى وتبعتهما فدخل الشيخ فما لبث أن خرج وقال : ادخل ياخرسانى فدخل ودخلت ، فنبش تحت درجة له مزبلة فأخرج الهميان أسود منخرق بخارية غلاظ .

فقال : هذا همیانك .

فنظر إليه وقال : همیانی .

قال ابن جرير : ثم حل رأسه من شَدً وثيق ثم صب المال في حجر نفسه وقلّبه مراراً وقال : هذه دنانيرنا وأمسك فم الهميان بيده الشمال وردّ المال بيده اليمنى فيه ثم شدّه شداً سهلاً ووضعه على كتفه ثم أراد الخروج فلما بلغ باب الدار رجع **فقال للشيخ** : ياشيخ مات أبي رحمه الله وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار فقال لي : أخرج ثلثها ففرقه على أحق الناس عندك ، وبع رحلى واجعله نفقة لحجّتك ففعلت ذلك وأخرجت ثلثها ألف دينار وشددتها في هذا الهميان ، وما رأيت منذ خرجت من خرسان إلى ها هنا رجلاً أحقَّ به منك ، خذه بارك الله لك فيه .

قال ابن جرير : ثم ولّى وتركه ، فوليت خلف الخرسانى فعدا

أبو غياث فلحقنى وردَّنى وكان شيخاً مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين ، ذكر أنَّ له ستاً وثمانين سنة .

فقال لى : اجلس فقد رأيتك تتبعنى فى أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم ، سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول : سمعت **مالكاً يقول** : سمعت نافعاً **يقول** : عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لعمر وعلى رضى الله عنهما : « إذا أتاكم الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفسٍ فاقبلاها ولاتردَّاها فتردَّ لهما على الله عز وجل » وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر .

ثم قال : يا لُبابة وفلانة وفلانة . فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدنى فصرنا عشرة فحل الهميان **وقال** : ابسطوا حجوركم فبسطت حجرى وما كان لهن قميص له حجرٌ يبسطونه، فمدُّوا أيديهم وأقبل يعدُّ ديناراً ديناراً حتى إذا بلغ العاشر إلىَّ قال : ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفاً فيها ألف فأصابنى مائة دينار ، فداخلنى من سرور غناهم أشد من سرور صيانتى بالمائة دينار

فلما أردت الخروج قال لى : يا فتى إنك لمبارك وما رأيت هذا المال قط ولا أمَّلته وإنى لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به واعلم أنى كنت أقوم فأصلى الغداة فى هذا القميص الخلق « أى الممزق

البالى » ثم انزعه فيصلين فيه واحدة واحدة ثم اكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود فى آخر النهار بما فتح الله عز وجل لى من أقط وتمر وكُسيراتٍ ومن بقول نُبذت ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب وعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذت ونفعنى وإياك بما أخذنا ورحم صاحب المال فى قبره واضعف ثواب الحامل للمال وشكر له .

قال ابن جرير : فودَّعته وكتُبت بها « اى الألف دينار » العلم سنتين أتقوت بها وأشترى منها الورق ، وأسافر ، وأعطى الأجرة.

فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة **فقيل** : إنه مات ، بعد ذلك بشهور ، ووجدت بناته ملوكاً تحت ملوك ، وماتت الأختان وأمهن ، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدثهم بذلك فيأنسون بى ويكرمونى ، ولقد حدثنى محمد بن حيان البجلى فى سنة تسعين ومائتين أنه ما بقى منهم أحد .

فبارك الله لهم فيما صاروا إليه .

خشيت والله حرمان الآخرة

جوهرة هو اسم على مسمى ، كانت صاحبة هذا الاسم من العابدات وكانت جارية لبعض الملوك ، فأنعم عليها ملك الملوك بالعتق ، فصارت تحمده كل لحظة على تخليصه لها من العبودية لغيره ، ثم أنعم عليها بالزواج من رجل صالح ، سكنت معه مكاناً يسمى براثا ، وكان اسم زوجها أبا عبد الله البراثى ، تزوجها لما رأى منها الطاعة والعبادة ، وعاشا كأحسن زوجين وتركا تلك الزائلة واجتهدا فى التقرب من المولى عز وجل ، وفى يوم من الأيام **قالت جوهرة**: يا أبا عبد الله .. النساء يحلين فى الجنة إذا دخلنها ؟!

فقال لها: نعم.

فاشتد عليها الأمر حتى غشى عليها ، فلما أفاقت قال لها زوجها: ما هذا الذى أصابك ؟

فقالت له: ذكرت حالى تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيت والله حرمان الآخرة.

ويقول عبد الله البراثنى عن زوجته : رأت جوهرة فى منامها خياماً مضروبة ، **فقالت**: لمن ضربت هذه الخيام ؟

فقيل: للمتهجدين بالقرآن.

فكانت بعد ذلك لا تنام.

وكانت تنتبه من الليل **وتقول له**: يا أبا عبد الله.. (كاروان رفت) معناه: قد سارت القافلة.

وتعالوا بنا لنختم الحديث عن جوهرة بقصة نرى منها كيف باع هؤلاء الدنيا واشتروا الآخرة!!

قال حكيم بن جعفر: كنا نأتى أبا عبد الله بن أبى جعفر الزاهد، وكان يسكن براثا، وكانت له امرأة متعبدة يقال لها جوهرة، وكان أبو عبد الله يجلس على جلَّةِ خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه على جلة أخرى مستقبلة القبلةفى بيت واحد.

قال: فأتيناه يوماً وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته.

فقلنا: يا أبا عبد الله.. ما فعلت بالجلة التى كنت تقعد عليها؟

قال: إن جوهرة أيقظتنى البارحة، فقالت: أليس **يقال فى الحديث**: أن الأرض تقول لابن آدم: تجعل بينى وبينك ستراً وأنت غداً فى بطنى؟

قال: **قلت**: نعم.

قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها.

فقمت والله فأخرجتها.

محمد نبي العرب ﷺ كان يختار الدين

إن أجمل نعمة يحظى بها الرجل (الزوجة الصالحة) فبها يكون العمران ، والسعادة الدائمة فى الدنيا والآخرة ، وقد أعجبتنى قصة جاء فيها :

حكى أن نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جاراً له مجوسياً.

فقال المجوسى: سبحان الله ! الناس يستفتونك وأنت تستفتينى !

فقال نوح القاضى: لابد أن تشير على.

فقال المجوسى: إن رئيسنا كسرى كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، والعرب كانت تختار الحسب والنسب ، ورئيسكم محمد كان يختار الدين ، فانظر أنت بأيهم تقتدى.

ومن هذه القصة نرى كيف يحظى أهل الصلاح بالزوجة الصالحة ، فالزوجة الصالحة هى ذات العقل والدين ، فالدين يقوم أصحابه ويهذب أخلاقهم ويدفع حركة الحياة إلى التقدم والرقى والفوز بالدارين ، وحتى نجمل كلامنا ونتعرف على غايتنا تعالوا بنا لنقرأ قصة زوجة الرجل الصالح (شريح).

وشريح هو: شريح بن الحارث قاضى الكوفة ، نرى ونتعلم

كيف كانت زوجته ، وكيف ننعم في حياتنا عندما نحظى بالزوجة الصالحة.

عن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى **قال**: لقينى شريح **فقال لى**: يا شعبى عليك بنساء بنى تميم ، فإنى رأيت لهن عقولاً.

فقلت: وما رأيت من عقولهن ؟

قال شريح: أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بدورهن ، وإذا أنا بعجوز على باب دارى وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت إليها واستسقيت وما بى من عطش.

فقالت لى: أى الشراب أحب إليك ؟

قلت: ما تيسر.

قالت العجوز: ويحك يا جارية .. أئتيه بلبن فإنى أظن الرجل غريب.

فقلت للعجوز: ومن تكون هذه الجارية؟

قالت: هى زينب بنت جرير إحدى نساء بنى حنظلة.

قلت: هى فارغة أم مشغولة ؟

قالت: بل فارغة.

قلت: أتزوجنيها ؟

قالت: إن كنت كفؤا ـ ولم تقل كفوا وهى لغة بنى تميم ـ فتركتها ومضيت إلى منزل لأقيل فيه فامتنعت من القائلة (أى

النوم ساعة الهجير) فلما صليت الظهر أخذت بيد أخوانى من العرب الأشراف علقمة ، والأسود ، والمسيب ، ومضيت أربد عمها.

فاستقبلنى **وقال**: ما شأنك أبا أمية ؟

قلت: زينب ابنة أخيك.

قال: ما بها عنك رغبة فزوجنيها ، فلما صارت فى حبالى ندمت

وقلت: أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن.

فقلت: أطلقها ، ثم **قلت**: لا ولكن أدخل بها فإن رأيت ما أحب وإلا كان ذلك ، فلو شهدتنى يا شعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على.

فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ، ويسأل الله تعالى من خيرها ، ويتعوذ من شرها ، فتوضأت فإذا هى تتوضأ بوضوئى وصليت فإذا هى تصلى بصلاتى ، فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسننى ملحفة قد صبغت بالزعفران ، فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى إلى ناحيتها.

فقالت: على رسلك أبا أمية ، ثم قالت :

"الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأصلى على محمداً وآله ، أما بعد ، فأنا امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب

فأتيه وما تكره فأجتنبه ، فإنه قد كان لك منكح فى قومك ، ولى فى قومى مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به ، إما إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين" .

قال شريح: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضوع **فقلت** :

"الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله ، أما بعد ، فإنك قلت إن ثبت عليه يكن حظا لى وإن تدعيه حجة عليك أحب كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فاثبتيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها" .

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلك ؟

قلت: ما أحب أن يملنى أصهارى .

قالت: فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

قال: فبت معها يا شعبى بأنعم ليلة ، ومكثت معها حولاً لا أرى منها إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء وإذ أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى .

قلت: من هذه ؟

قالوا: فلانة أم حليلتك (أى أم زوجتك) .

قلت: مرحباً وأهلاً وسهلاً .

فلما جلست أقبلت العجوز **فقالت**: السلام عليك يا أبا أمية .

فقلت: وعليك السلام ومرحباً بك وأهلاً .

قالت: كيف رأيت زوجتك ؟

قلت: خير زوجة ، وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الأدب ، وريضت فأحسنت الرياضة ، فجزاك الله خيراً .

فقالت: يا أبا أمية .. المرأة لا يرى أسوأ حالاً منها فى حالتين .

قلت: وما هما ؟

قالت: إذا ولدت غلاماً ، أو حظيت عند زوجها ، فإن رابك مريب فعليك بالسوط ، فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدللة .

فقلت: والله لقد أدبت فأحسنت الأدب ، وريضت فأحسنت الرياضة .

قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك ؟

قلت: ما شاءوا ، فكانت تأتينى فى رأس كل حول فتوصينى بتلك الوصية ، فمكثت معى يا شعبى عشرين سنة لم أعب

عليها شيئاً ، وكان لى جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت فى ذلك :

رأيت رجالاً يضربون نساءهم　　فشلت يمينى يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به　　فما العدل منى ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب　　إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فمرحى مرحى بهذا الصالح .. الذى أنعم عليه الواحد الديان بزوجة هى من خير النساء ، ونعم العقلاء ، تزين دارها وتنعم زوجها ، وتملأ الدنيا بأكملها نوراً ، فياليت شعرى ... وأرجو من الله أن ينعم علينا بمثل هذه المرأة وأن تكون نساءنا كهذه ، وإن لم يستطعن فليحاولن التماس القدوة منها .

المـرأة الناصحـة

كـمـا قلنا يا أحـبـاب . . إن المرأة إذا كـانـت ذات عـقـل ودين ، كان بهـا العمـران والنعيم ، والآن تعـالوا بنا لنقرأ قصة جميلة نرى فيها كيف وعظت المرأة زوجها ساعة المحنة والضيق .

جـاء فى البـداية والنهـاية : أن الفـتنة اشـتـدت فى آخـر عـهـد سيدنا عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فخرج عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فخطب الخطبة التى نزع فيهـا وأعلم الناس ، نفسه التوبة ، فقام نحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله **ثم قال** :

"أما بعد ، أيها الناس . . فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضل رشدى ولقد سمعت رسـول الله ﷺ **يقـول** : ﴿**من زل فليـتب ، ومن أخطأ فليـتب ولا يتمـادى فى الهلكة إن تمادى فى الجور كان أبعد عن الطريق**﴾ فأنا أول من اتعظ ، استغفر الله مما فعلت وأتوب ، فمثلى نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتنى أشرافكم ، فوالله لأكونن كالمرقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه" .

قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد **فقال** : يا أمير المؤمنين . . الله الله فى نفسك فأتمم على ما قلت .

فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم **فقال**: أتكلم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟

فقالت امرأة عثمان رضي الله عنه وهى نائلة بنت الفرافصة الكلبية-من وراء الحجاب: بل اصمت فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها .

فقال لها :ـ ماأنت وذاك ؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ .

فقالت له: دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان ، وقال لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين .. أتكلم أم أصمت ؟

فقال له عثما ن رضي الله عنه : بل تكلم .

فقال مروان: بأبى أنت وأمى ، لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممنع منيع ، فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز الحزام الطبيين ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لإقامة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة خوف عليها ، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

فقال عثمان رضي الله عنه : قم فاخرج إليهم فكلمهم ، فإنى أستحى أن أكلمهم.

قال: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً **فقال**: ما شأنكم كأنكم قد جئتم لنهب ، شاهت الوجوه كل إنسان آخذ بأذن صاحبه إلا من أريد ، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غبة ، إرجعوا إلى منازلكم فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا .

قال: فرجع الناس، وخرج بعضهم ، حتى أتى علياً رضي الله عنه فأخبره الخبر ، فجاء علي رضي الله عنه مغضباً ، حتى دخل على عثمان رضي الله عنه ، **فقال**: أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟! وإن مثلك مثل جمل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بذى رأى فى دينه ولا نفسه ، وأيم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك ، أذهبت سوقك وغلبت على أمرك .

فلما خرج علي رضي الله عنه ، دخلت نائلة على عثمان رضي الله عنه .

فقالت: أتكلم أو أسكت ؟

فقال: تكلمى.

فقالت: سمعت قول على أنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء.

قال: فما أصنع ؟

قالت: تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبيك من قبلك (تقصد سيدنا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما) ، فإنك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ، فأرسل إلى على فاستصلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى.

فأرسل عثمان رضي الله عنه إلى على فأبى (رفض) أن يأتيه ، **وقال**: لقد أعلمته أنى لست بعائد.

وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان رضي الله عنه.

فقال: أتكلم أو أسكت ؟

قال: تكلم.

فقال: إن نائلة بنت الفرافصة.

فقال عثمان رضي الله عنه : لا تذكرها بحرف فأسوء إلى وجهك ، فهى والله أنصح لى منك.

هكذا تكون النساء ، وهكذا تكون العقول الراجحة ، ولقد حظى سيدنا عثمان رضي الله عنه بهذه المرأة ذات الرأى الحكيم والفكر القويم ، فأحبها وكره الإساءة لها لما رأى فى رأيها من صواب وخروج من الهلكة إلى النجاة، ولكن آهٍ من رفقاء السوء وآه ممن سيطرت الإمارة على قلوبهم فأصبحوا فى لهو عن الآخرة وإقبال على الدنيا وملاذتها ، ولكن أرى أن نتحدث عن قصة نائلة بنت الفراوضة كاملة حتى ننعم بذكر هذه المرأة التى قليلاً ما يجود بها الزمان.

آه .... يا بنت الفرافصة

تعالوا بنا لنعطر فكرنا ، وننعش عقولنا ، بذكر نائلة بنت الفرافصة.

جاء في المنتظم :

روى المؤلف بإسناده عن أبى عبيدة **قال:** لما تزوج عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نائلة بنت الفرافصة إهتداها فبعث بها أبوها إليه مع أخيها ضب ، فلما وصلت من السماوة إلى المدينة خرجت من فراق أهلها وبلادها **فقالت :**

أحقاً تراه اليـــوم يا ضب إننى ... مصاحبة نحو المدينة أركبـــا

أما كان فى فتيان حصنى بن ضمضم ... لك الويل ما يغنى الخباء المحجبا

قضى الله حقاً أن تموتى غريبـة ... بيثرب لا تلقيـــن أمـاً ولا أبـاً

هذه رواية ، ورواية أخرى هى :

قال ابن بطة: وحدثنى أبو صالح ، حدثنا أبو الأحوص ، حدثنا نعيم بن حماد ، وحدثنا ابن المبارك ، أخبرنا إسحاق بن طلحة ، عن مولى لطلحة: أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعمل الوليد بن عقبة ، على صدقات كلب ، فزوجه نائلة بنت الفرافصة الكلبى ، فلما قدم **قال:** إنى زوجتك نائلة بنت الفرافصة.

فقال: زوجتنى نصرانية ؟!

قال: إنها إذا قدمت إليك أسلمت.

فلما قدمت دخل عليها عثمان بن عفان ، فصلى ركعتين.

ثم قال: يا هذه .. تأتينا أم نأتيك ؟

فقامت حتى جلست إلى عثمان رضي الله عنه.

فقال لها عثمان رضي الله عنه : إنك لعلك ترين شيباً وتقلباً فى السن ، فإن وراء ذلك غلالة من الشباب.

فقالت: إن أحب الخلطاء إلى لمن ذهبت عنه ميعة الشباب ، واجتمع لحلمه ، ووثق برأيه.

فلما خرج **قال له الناس**: يا أمير المؤمنين .. كيف رأيت أهلك ؟

قال: رأيت أوفى عقلاً من الداخلة على.

هذه هى نائلة بنت الفرافصة ، المرأة ذات العقل لذلك أحبها أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، إنه أحب ذات العقل الراجح ، فإن الجمال الحقيقى فى المرأة هو رجاحة العقل ، فرجاحة العقل تولد اللسان المهذب والفعل الكريم الذى يُدعم به الرجل من قبل المرأة ، أقول هذا والحكم لكم ولكن لتعلموا جيداً أن جمال الجسد والوجه زيف زائل وجمال العقل ورجاحته تدفع المرء منا إلى سعادة حقيقية ولنا فى القصة السابقة أعظم دليل حيث رأينا

كيف احتوت بنت الفرافصة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بحسن حديثها وما حسن حديثها إلا من رجاحة عقلها فاللهم أنعم على نساءنا برجاحة العقل وعلى رجالنا بحسن الإختيار حتى يقوى المجتمع الإسلامى.

وأختم هذه المسألة بقصة لابن الجوزى توضح مدى عزم هذه المرأة وقبل أن أذكرها أقول لكم :

إن المرأة إذا مات زوجها إنهارت ، وإذا قتل أصبحت كالدار الخرب لا حيلة لها ولكن بالطبع ليس هذا مع بنت الفرافصة ذات العقل الراجح ، فقد رأت زوجها يقتل فقلبت الموازين ثارت وكأنها ألف رجل وأرسلت طلباً للثأر من أجل زوجها هذه هى المرأة التى يعتمد عليها فى الحياة أو عند الرحيل عنها ولتدعيم قولى . . فأليكم القصة.

يقول ابن الجوازى :

ولما ضرب عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالسيف اتقت نائلة بنت الفرافضة بيدها ، فقطعت إصبعان من أصابعها فلما قتل كتبت إلى معاوية:

" من نائلة بنت الفرافضة إلى معاوية بن أبى سفيان :

أما بعد ،

فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأبعدكم عن الكفر وأنشدكم الله فأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه.

وإن أمير المؤمنين بغى عليه وكنت مشاهدة أمره ، إن أهل المدينة حصروه يحرسونه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه وسلاحهم حتى منعوه الماء إنه رمى بالنبل والحجارة ، ثم أحرقوا باب الدار ، ثم دخلوا عليه وأخذوا بلحيته وضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه فى صدره طعنات ، وقد أرسلت إليكم بثوبه" .

فحلف رجال من الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتلته أو تذهب أرواحهم نعم النساء هى التى تقف بجوار زوجها فتسعده فى الرخاء وتمنع عنه البلاء ، وتثأر له عند الموت ، أرأيتم معى كيف أن المرأة راجحة العقل هى أجمل بكثير من غيرها.

ما أجمل الوفاء والإخلاص

يقول ابن الجوزى :

كانت خولة بنت منظور بن زياد الفزارى عند الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وكانت أختها عند عبد الله بن الزبير ، وهى من أحسن الناس ثغراً وأتمهم جمالاً ، فلما رأى ذلك عبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير زوجها ثم خطبها ، فكرهت أن تتزوجه وهو قاتل زوجها ، فأخذت فهراً وكسرت به أسنانها.

وجاءها رسول عبد الملك فخطبها ، فأذنت له ليراها ، فأدى إليه رسالته ورأى ما بها.

فقالت : مالى عن أمير المؤمنين رغبةولكن كما ترى ، فإن أحبنى فأنا بين يديه.

فأتاه الرسول فأعلمه بذلك.

فقال : أنا والله إنما أردتها على حسن ثغرها الذى بلغنى ، وأما الآن فلا حاجة لى فيها.

ياالله ... ياالله على هذا الاخلاص والوفاء تتحمل ألم كسر اسنانها على الزواج من رجل ملك الدنيا ولكنه قتل زوجها .

ابلغوا الدنيا بأسرها عن هذه المرأة الوفية المخلصة التى نادراً ما يجود بها الزمان .

ليلى والسماوة

كما قلنا أن الجمال زائل ، والباحث عنه واهم ، وعلاقة الزواج إن ثبت فيها الجمال كأصل إنهارت هذه العلاقة عند زوال الجمال ، حتى وإن كان ذلك فى بيوت الصالحين ، ولندعم هذا الكلام بقصة جميلة ذكرها العلامة ابن كثير:

قال الزبير بن بكار: حدثنى محمد بن الضحاك الحزامى عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قدم الشام فى تجارة يعنى فى زمان جاهليته- فرأى امرأة يقال لها ليلى ابنة الجودى على طنفسة (حصيرة) لها وحولها ولائدها فأعجبته .

قال ابن عساكر: رأها بأرض بصرى فقال فيها :

فذكرت ليلى والسماوة دونها ... فمالُ ابنة الجودى ليلى وماليا
وإنى تعاطى قلبه حارثية ... تؤمن بصرى أو تحل الحوابيا
وإنى بلاقيها بلى ولعلها ... إن الناس حجوا قابلا أنا توافيا

قال: فلما بعث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جيشه إلى الشام ، قال لأمير على الجيش: إن ظفرت بليلى بنت الجودى عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فظفر بها ودفعها إليه

فأعجب بها وأثرها على نسائه حتى جعلن يشكونها إلى عائشة رضى الله عنها ، فعاتبته عائشة رضى الله عنها على ذلك.

فقال: والله كأنى أرشف بأنيابها حب الرمان.

فأصابها وجع سقط له فوها ، فجافاها (أى ابتعد عنها) حتى شكته إلى عائشة رضى الله عنها.

فقالت له عائشة رضى الله عنها: يا عبد الرحمن .. لقد أحببت ليلى فأفرطت ، وأبغضتها فأفرطت ، فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها إلى أهلها.

صيحة هند

الاختيار السليم للعبد الصالح ، كما قلنا الظفر بذات الدين وذات الدين لن توجد إلا فى بيت الصالحين ، لذلك عندما رغب عبد الله بن عامر الزواج تزوج من هند بنت معاوية بن أبى سفيان] وكانت هذه القصة التى نرى من خلالها أهمية التعرف على أهل الزوجة قبل الزوجة.

قال العلامة ابن كثير :

وهند بنت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزوجها عبد الله بن عامر ، فلما أدخلت عليه بالخضراء جوار الجامع أرادها على نفسها فتمنعت عليه وأبت أشد الإباء « رفضت اشد رفض » ، فضربها فصرخت ، فلما سمع الجوارى صوتها صرخن وعلت أصواتهن.

فسمع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فنهض إليهن ، فاستعلمهن ما الخبر ؟

فقلن : سمعنا صوت سيدتنا فصحنا.

فدخل فإذا بها تبكى من ضربة ، **فقال لها بن عامر :** ويحك !! مثل هذه تضرب فى مثل هذه الليلة ؟

ثم قال له : أخرج من ها هنا.

فخرج ابن عامر وخلا بها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **فقال لها :** يا بنية ..

٦٠

إنه زوجك الذى أحله الله لك ، أوما سمعت قول الشاعر :

من الخَفِرات البيضِ أمَّا حرامها فصعبٌ وأما حلها فذلول !

ثم خرج معاوية رضي الله عنه من عندها .

وقال لزوجها : أدخل فقد مهدت لك خلقها ووطأته .

فدخل ابن عامر فوجدها قد طابت أخلاقها فقضى حاجته منها رحمهم الله تعالى .

نعم النساء ..... ميسون

أنعم المولى عز وجل على سيدنا معاوية بن أبى سفيان] فتزوج بامرأة تسمى (ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبى) وشهد العلماء لهذه المرأة بالحزم وعظم الشأن والجمال والرياسة والعقل والدين وذكروا لها قصة تبرهن على ذلك وهى :

دخل عليها معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوماً ومعه خادم خصى (أى ليس له فى النساء لإزالة خصيته) ، فاستترت منه وقالت : ما هذا الرجل معك ؟

فقال : إنه خصى فاظهرى عليه .

فقالت : ماكانت المثلة لتحل له ما حرم الله عليه ، وحجبته عنها .

وفى رواية أنها **قالت له :** إن مجرد مثلتك له لن تحل ما حرمه الله عليه .

الصابر والشاكر

كانت امرأةعمران بن حطان من أجمل الناس وجهاً ، وكان هو من أقبح الناس وجهها، فقال لها يوماً : أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى.

فقالت له : وكيف ذلك ؟!

فقال: لأني أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلي فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة.

بارك الله لكما !

عن أنس ابن مالك] قال :

مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، **فقالت لأهلها** : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.

قال : فجاء فقدمت له عشاء فأكل وشرب.

وقال : ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع له من قبل ذلك ، فوقع بها.

فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها **قالت**: يا أبا طلحة .. أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم .. ألهم أن يمنعوهم ؟

قال: لا.

قالت : فاحتسب ابنك.

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **بارك الله لكما فى ليلتكما** ﴾.

قال: فحملت.

قال : وكان رسول الله ﷺفى سفر وهى معه ، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة

فضربها المخاض ، فاحتبس عليها أبو طلحة واطلق رسول الله ﷺ.

فقال أبو طلحة : إنك لتعلم يارب إنه ليعجبنى أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد أحتبست بما ترى.

قال : تقول له أم سليم : يا أبا طلحة .. ما أجد الذى كنت أجد فانطلقنا.

قال : فضربها المخاض حين قدمنا فولدت غلاماً.

فقالت لى أمى : يا أنس لا يرضعنه أحد حتى تعدو به على رسول الله ﷺ .

قال : فلما أصبحت احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺفصادفته ومعه ميسم.

فلما رأنى **قال** : ﴿ **لعل أم سليم ولدت ؟** ﴾.

قلت : نعم.

فوضع الميسم وجئت به فوضعته فى حجره **قال** : ودعا رسول الله ﷺبعجوة من عجوة المدينة فلاكها فى فيه حتى ذابت ثم قذفها فى فى (فم) الصبى فجعل الصبى يتلمظ.

فقال رسول الله ﷺ : « انظروا إلى حب الأنصار التمر ! »

قال : فمسح وجهه وسماه عبد الله.

الفهـــرس

المقدمة ٥

صلة ومعاذة ٨

هيا نربح بعض الحسنات ١١

إنى أخطبك إلى نفسى فى الآخرة ١٤

هكذا يطيب الشراب ١٥

قم يارجل ١٩

دون هذا ياهذه ! ٢٠

تزوجت رياحاً ٢١

لاتفسدوا حياتنا ٢٤

باعوا الدنيا ليشتروا الآخرة ٢٦

علمتنى رابعة ٢٧

السباق ٢٩

فو الله ما ضيعته ٣٠

لا أحرق حشاشتي ٣٣

خشيت والله حرمان الآخرة ٣٩

محمد نبى العرب كان يختار الدين ٤١

المرأة الناصحة ٤٧

آه ...... يابنت الفرافصة ٥٢

ما أجمل الوفاء والإخلاص ٥٦

ليلى والسماوة ٥٧

صيحة هند ٥٩

نعم النساء ...... ميسون ٦١

الصابر والشاكر ٦٢

بارك الله لكما ! ٦٣